التكوين الشرعي الأصيل في مواجهة التطرف

– قراءة فاحصة في تجربة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر في مواجهة ظاهرة التكفير –

The Authentic Training in Shari'a and Islamic sciences in the face of extremism

-A close reading in the experience of the Faculty of Sharia and Islamic Studies at Qatar University in the face of the phenomenon of Excommunication-

د. عبد العظيم محمد صغيري
أستاذ مشارك
جامعـــة قطـــر – كليـــة الشـــريعة والدراسـات الإسـلامية – قسـم العقيـدة والدعوة

Dr. Abdelaadim M. Srhayri
Assistant professor
Qatar University - College of Sharia and Islamic Studies - Department of Doctrine and Da'wah

absrhayri@qu.edu.qa

الكلمـات المفتاحيـة: التكفيـر، التكـوين الشـرعي، التطـرف، كليـه الشـريعة والدراسـات الإسلامية، جامعة قطر.

Keywords: Excommunication, Training in Shari'a and Islamic sciences, Extremism, Faculty of Shari 'a and Islamic Studies, University of Qatar

الملخص

يندرج هذا البحث ضمن المحور الثالث من محاور مؤتمركم المبارك: "دور كليات الشريعة والعلوم الاسلامية والمدارس والمؤسسات الدينية في التحصين ضد التطرف والتكفير وفي تغليب إرادة العيش المشترك على التناقضات العقدية"، ويهدف إلى مناقشة الجذور الفكرية للتطرف والتكفير عبر إجراء حفريات معرفية عميقة تكشف الخلفيات النظرية والمرجعيات المعرفية المؤطرة لفكر الجماعات التكفيرية، والحاكمة لكيفيات تصرفها في الواقع مع الأفراد والجماعات.

تتغير دراستي هاته، تقديم نموذج متفرد في مقاربه ظاهرة التكفير، من خلال الوقوف الهادئ على تجربة علمية وتربوية رائدة، تحمل لواءها كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر:

فضمن المقررات الدراسية المعتمدة في قسم العقيدة والدعوة، يوجد مقرر ضمن المتطلبات الإجبارية للطلبة، وهو المقرر الذي يحمل عنوان: "الإيمان وظاهرة التكفير"، والذي يهدف إلى تقريب الطالب من معرفة الأصول الفكرية المؤسِّسَة للفكر التكفيري منذ البدايات

الأولى لتشكُّله مع فرقه الخوارج وانتهاء بدراسة نماذج تطبيقيه من الجماعات التكفيرية المعاصرة؛ مثل "الهجرة والتكفير" أو "الدولة الإسلامية في العراق والشام".

وتظهر قيمه هذا المقرر في عدم اكتفائه بتقديم أسناد نظرية ومعرفية للطلبة فقط، بل إنه يضيف إلى ذلك رعاية المهارات الضرورية التي تسهم في تأهيلهم لمواجهة هذا الفكر التكفيري الآخذ في الزحف والتناسل، عبر تنمية قدراتهم الحوارية وتمهيرهم في النقد والجدل والمناظرة، فضلا عن توسيع مداركهم بجعلهم يطلعون على أمهات المصادر والمراجع الفكرية للفكر التكفيري ونقدها، في أفق تخريج مراجع بشرية متخصصة قادرة على تحصين نفسها وتقديم المناعة الفكرية اللازمة لتحقيق الأمن الروحي والعقدي للمجتمع.

Abstract

This research falls under the third axis of your esteemed conference: "The role of Shari'a and Islamic sciences colleges as well as religious schools and institutions in immunizing against extremism and Takfir (excommunication from Islam) and in insuring the prevalence of the will to live together over ideological contradictions". It aims to discuss the intellectual roots of extremism and Takfir by conducting a deep analysis that reveals the theoretical backgrounds and cognitive references framing the ideology of Takfiri groups and governing how they actually act with individuals and groups.

This study aims to present a unique model in its approach to the phenomenon of Takfir through a careful examination of a pioneering scientific and educational experience carried by the College of Shari'a and Islamic Studies of Qatar University:

Within the approved curriculum of the Department of Theology and Da'wah, there is a course among the compulsory requirements for students titled "Faith and the Phenomenon of Takfir." This course aims to familiarize students with the intellectual foundations of Takfiri thought, starting from its early beginnings with the Kharijites sect and ending with the study of contemporary applied models of Takfiri groups, such as Takfir wal-Hijra (Excommunication and Emigration) or The Islamic State in Iraq and Syria.

The value of this course lies not only in providing theoretical and knowledge-based support to students but also in nurturing the necessary skills that contribute to their preparedness in confronting this proliferating and reproducing Takfiri ideology. This is achieved through enhancing their dialogical abilities, refining their critical thinking, debate and argumentation skills, as well as broadening their knowledge by exposing them to the primary sources and intellectual references of Takfiri thought and its critique. The ultimate goal is to graduate specialized scholars capable of immunizing themselves and providing the necessary intellectual immunity to achieve spiritual and doctrinal security for society.

المقدمة

يتماهى هذا البحث ورؤية المؤتمر التي ترى:" أن الارهاب والعنف هما منتج لحالة تطرف كان سببها عدم تطوير خطابات دينية أو سياسية أو أعراف اجتماعية تحولت لأفكار متطرفة كان يمكن مواجهتها بأدوات المجتمع المدني الفكرية والاجتماعية والثقافية والفنية فهذه هي المسؤولية التي تتحملها النخبة في أي دولة وهي قيادة عملية التنوير، وبناء الوعي، خاصة في مرحلة ما بعد الاهتزازات السياسية الكبرى أو في أوقات التحديات الكبرى. كونها تعد في مقدمة القوى الناعمة لأية دولة، دفاعًا عن مصلحتها الوطنية، في إطار بناء أمنها القومي وسلمها المجتعي"(١).

كما أن بحثي هذا يفتل في حبل الأهداف التي يروم المؤتمر تحقيقها، ومنها:"

–الإفادة من التجارب الدولية في مكافحة الارهاب والتطرف (التجارب غير العسكرية)؛

–تبادل الأفكار والرؤى المتعلقة بالعنف والتطرف والإرهاب؛

–محاولة تفصيل المفاهيم والوصول بها الى المصطلحات المتفق عليها، لأن تحديد هوية وحدود المفردة جزء من الحل؛

–تفعيل دور الجامعات والمؤسسات المعنية الأخرى وإشراكها بالقرارات لتنسجم والثقافة الشائعة في الأوساط الحاضنة للفكر المتطرف.

–متابعة القنوات الدينية والفرقية والمذهبية وجعل النصوص الدينية (الفتاوى) تحت مجهر مؤسسةٍ تُشكل لهذا الغرض، وظيفتها تنقية كل ما يصدر من فتاوى" (٢).

وقد اجتهدت في صياغة مضامين هذا البحث لتتناغم وأهداف المؤتمر المذكورة أعلاه كلها، وإن بنسب متفاوتة، لكن بوصلة اشتغالي وحادي عملي هو: "إبراز دور كليات الشريعة والعلوم الإسلامية والمدارس والمؤسسات الدينية في التحصين ضد التطرف والتكفير وفي تغليب إرادة العيش المشترك على الاختلافات العقدية(٣) عبر استدعاء نموذج رائد، يتمثل في التجربة الفريدة لكلية الشريعة بقطر في تدريس مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير"، وأرجو أن تفلح الورقات أدناه في تقديم إلماعات دقيقة عن فلسفة هذا المقرر، وتجلي غاياته في إلماحات تنحو الوجازة والقصد، وتسبر غور نموذج جدير بأن تنسج كليات الشريعة على منواله وتهتدي بسَنَنِه الراشد.

---

(١) تنظر: أرضية "المؤتمر العلمي الدولي المشترك الثاني: صوب ثقافة مجتمعية وسطية نابذة للعنف والارهاب ودور الجامعات والمؤسسات المعنية في ترسيخها": ص ٢.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

المبحث الأول

"الإيمان وظاهرة التكفير": سياقات الاعتماد وملابسات التأسيس

عند النظر الهادئ في سياقات اعتماد مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير" وملابسات تأسيسه العلمي والبيداغوجي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، يمكن الوقوف على عدة سياقات، نكتفي ببيان أهمها اختصارا في الآتي:

السياق المعرفي: ويتلخص في وعي القائمين على الكلية بأن ضعف كليات العلم الشرعي وراء تنامي موجات التكفير وتوسعها، نستشف هذا الوعي المتقدم من تصريح لعميد الكلية يصرح فيه قائلا: "أعتقد أن أهم أسباب انتشار مظاهر الغلو في الدين وتكفير المسلمين والاستهانة بإراقة الدماء المنتشرة في العالم اليوم، تكمن في ضعف كليات العلم الشرعي وعدم احتلالها مواقع الريادة في عالم الفكر، ومنابر التأثير والتوجيه، كما أن انتشار مظاهر التحلل من الدين وقيمه وأحكامه هي ثمرة أخرى لذلك الضعف والتراجع، ولعدم احتلال الكليات الشرعية مواقعها في قلب المجتمع بما يجعلها تصغي لهموم الناس وتتفاعل مع مشاكلهم، وتجيب عن أسئلتهم. فالجامعات ليست جزراً معزولة عن المحيط الثقافي والاجتماعي لأية أمّة، وعليها أن تدرك التغيرات التي تطرأ على المجتمعات والتحولات التي تنشأ في عالم الفكر والثقافة، وأن يكون لديها ما يكفي من العلم الشرعي والعمق الفكري، والأساليب الحديثة التي تساعد على نشر الفهم الصحيح للدين الإسلامي، وأن تحافظ على وسطية الأمّة بين حدي الغلو في الدين والتفريط فيه، مصداقاً لقوله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً" "[1].

تأسيسا على ذلك، وانسجاما مع هاته الرؤية الفاحصة للواقع، والمنتقدة لأداء الكليات الشرعية عموما، وكلية الشريعة بقطر خصوصا، يأتي اعتماد مقررات جديدة، وفي الصلب منها مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير" ليجسر الصلة بين الكليات الشرعية والواقع الذي تشتغل فيه، والأفق المرجو لذلك هو الحد من غائلة التكفير، وقطع دابر المقولات المؤسسة له، ودحض المرجعيات العلمية التي يتترس بها أهله.

السياق الدولي: ويمكن تلخيصه في المد التكفيري المتصاعد على كل الصعد: المحلية والإقليمية والدولية، وهو الأمر الذي يستدعي استنفار كل الجهود لمواجهة هذا المد، باعتماد مشاريع تحصينية تمنع الأجيال القادمة من الإصابة بعدوى التكفير، ولا سبيل أضمن لذلك من اجتراح مقررات جامعية مدروسة بعناية، تقدم أمصالا معرفية واقية، وتسهم في تكوين أجيال

---

(١)"ضعف كليات العلم الشرعي وراء «التكفير».. والدعاة الحاليون بلا تأثير"، ينظر: حوار د. إبراهيم الأنصاري عميد كلية الشريعة بجامعة قطر لجريدة العرب القطرية يوم: الإثنين ٧ يناير ٢٠١٩، على الرابط الآتي:https://t.ly/p16a6

عصية على أن تخترقها سهام التكفيريين ومن في دائرتهم، ونعتقد أن مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير" إسهام وازن في هذا المسار اللاحب.

السياق المحلي: يتصادى هذا السياق مع سابقه، في سعي دولة قطر الدؤوب لتقديم رؤى استشرافية وحلول استباقية للأدواء التي تعصف بالأمن والاستقرار الدوليين، وعلى رأس تلك الأدواء ما يتعلق بتغول الخطابات التكفيرية وتهديدها المستمر لأمن المجتمعات ومستقبلها، لذلك نصت رؤية قطر ٢٠٣٠ بوضوح على ما نحسبه تسييجا معرفيا بعيد الغور ومحاصرة مبكرة لمقولات التطرف والعنف النابذة للحرية، والمُقصية للحق في الاختلاف، والمنقلبة على القيم الأصيلة والأعراف التليدة، فقد جاء في الرؤية تحت عنوان: "المبادئ الموجهة للرؤية الوطنية" ما نصه: "تهدف الرؤية الوطنية إلى إرساء مجتمع أساسه العدل والإحسان والمساواة، كما تجسد مبادئ الدستور الدائم التي:

تصون الحريات العامة والشخصية.

تحمي القيم الأخلاقية والدينية والتقاليد.

تكفل الأمن والاستقرار وتكافؤ الفرص"[١].

ولا يخفى على متأمل في الأثافي الثلاثة المؤثثة للرؤية الوطنية ٢٠٣٠ لقطر، أنها عاصمة من قواصم التشدد، وحاضنة لكل الجهود التي تبني مجتمعا ينشد الاعتدال وينعم بالوسطية وهديها الباني. كما لا يخفى على أي دارس حصيف أن مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير" بهندسته ورؤيته المتبصرة إسهام وازن في سبيل تنزيل راشد ومنضبط للرؤية أعلاه.

السياق المؤسسي: والمقصود به استجابة مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير" للحراك الاستراتيجي الذي تخوضه جامعة قطر، وتجيش له كل إمكاناتها، وتوظف له كل أذرعها، فمن ضمن الغايات التي سطرتها الخطة الاستراتيجية للجامعة والمتعلقة بتميّز الخريجين:" أن تقوم الجامعة بإعداد خريج ذي شخصية متكاملة، وسمات وقيم من شأنها تعظيم أثره ودوره الفعّال."[٢]، كما سطرت الخطة استراتيجيات التمكين العامة التي بموجبها:" تقوم جامعة قطر بتطوير وتنفيذ الاستراتيجيات التمكينية والعمليات والأنشطة اللازمة لإحداث التحول الشامل

---

(١)"رؤيـــة قطـــر "٢٠٣٠: ص ١٠، علـــى الـــرابط الآتـــي:
https://www.diwan.gov.qa/about-qatar/qatar-national-vision-2030?sc_lang=ar-QA

(٢)"الخطـة الاسـتراتيجية"، الموقـع الرسـمي لجامعـة قطـر، علـى الـرابط الآتـي:
https://t.ly/_PK4

فيها وتمكينها من توسيع أصولها وقدراتها لتحقيق مستويات أعلى في القدرة على التأثير محلياً ودولياً "[١].

ستتولى الكليات المنضوية تحت لواء الجامعة، كل واحدة بحسب اختصاصها، مهمة التنزيل العملي للغايات وتصريف الاستراتيجيات؛ عبر البرامج والمقررات والمناهج الدراسية، وهو الأمر الذي نلفي فيه مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير" يضرب بسهم وافر، أولا من حيث فرادته وتميزه [٢] وهو الأمر الذي سيفتح الباب واسعا لتمكين جامعة قطر من التأثير محلياً ودولياً، تأثيرٌ يتكئُ على مدامك نوعية، ويتأثث بمقررات نوعية روعيت في هندستها: " ثلاثة محاور أولها مدى الاستجابة للتحدي، ومدى التمحور حول الطالب، ومدى قابلية المخرجات للتحقق من خلال التوافق مع البيئة والواقع والإمكانيات، وثانيها مدى توفر فرص للإبداع والابتكار بما يدعم العمق العلمي ولا يكون على حسابه من قبل الأستاذ ومن قبل الطالب، وآخرها توظيف تكنولوجيا التعليم في المقررات بما يدعم المحتوى العلمي"[٣]، وفي الصلب من هاته المقررات، يوجد مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير" ضمن مقررات أخرى متآخية في الروح والمنهج: "تجمع مخرجاتها بين التأصيل والعمق الشرعي من جهة وفقه الواقع من حيث استيعاب النوازل الجديدة والتنزيل الصحيح عند ممارسة الفتوى من جهة أخرى، أو تشريح المعضلات والتحديات الفكرية والثقافية، ومن بين المقررات الجديدة بالكلية "ظاهرة التكفير، فقه السننية، فقه التحضر، حوار الحضارات، المالية الإسلامية، المجتمعات الدينية..." [٤].

نحن أمام تصريف متدرج لرؤية وطنية، تجتهد كل المؤسسات في تنفيذ مايتماهى منها مع تخصصها، وهكذا تولت الخطة الاستراتيجية للجامعة مهمة تسطير الغايات والاستراتيجيات العامة، وتبنت الكليات مأمورية البرمجة والتخطيط التفصيلي للبرامج والمقررات، ومن ثمرات ذلك الخطة الاستراتيجية لكلية الشريعة التي جاءت متناغمة مع الحراك الاستراتيجي للجامعة،

---

(١)"الخطة الاستراتيجية": الصفحة نفسها.

(٢) تنفرد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر بتدريس مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير"، وقد بحثت في مقررات عدة جامعات إسلامية مرموقة، فلم أظفر في مناهجها ومقرراتها على مثيل مطابق لهذا المقرر في الهندسة البيداغوجية والمفردات وآليات التنفيذ.

(٣) "تعديل شامل للحقيبة التعليمية وهيكلة جديدة للأقسام"، ينظر: حوار د. إبراهيم الأنصاري عميد كلية الشريعة بجامعة قطر لجريدة الراية القطرية يوم: الأثنين، ١٤ مارس، ٢٠٢٢، على الرابط الآتي:https://rb.gy/zasvro

(٤) "تعديل شامل للحقيبة التعليمية وهيكلة جديدة للأقسام"، ينظر: حوار د. إبراهيم الأنصاري عميد كلية الشريعة بجامعة قطر لجريدة الراية القطرية يوم: الأثنين، ١٤ مارس، ٢٠٢٢، على الرابط الآتي:https://rb.gy/zasvro

فصارت حلقة تنفيذ رئيسة وأداة تباشر عمليات البرمجة الواعية وتستنبت شروط الإصلاح وتنضجها على نار هادئة، نقرأ ذلك في منطوق ومفهوم كلمة عميد الكلية المستقبلة لرواد موقعها الإلكتروني: "لقد صمّمنا برامجنا التي ستتصفحونها في الموقع بوعي ضمن منظور استراتيجي شامل، عملنا بمنهجية علمية على استجلائه مع شركاء المصلحة داخل الكلية وخارجها، حتى استوى على تصور ناضج صغناه في رؤيةٍ كليةٍ، ورسالةٍ جامعةٍ، وقيمٍ حاكمةٍ، وغاياتٍ كبرى، وأهدافٍ استراتيجيةٍ" (١)، كما نقرؤها في كلمة رئيس قسم العقيدة والدعوة بالكلية والتي نص فيها على أن قسمه يسهم ببرامجه الأكاديمية الثلاثة: العقيدة والدعوة، والدراسات الإسلامية، والأديان وحوار الحضارات: "في رفد المجتمع بكفاءات شرعية مزودة بالمعارف العقدية الصحيحة وأصول الدعوة، مستوعبةٍ قضايا العصر ومستجداته، متمكنة من آليات فهم مختلف الأفكار والديانات والحضارات، تتمتع بمهارات التواصل وآداب الحوار. وتسهم هذه الكفاءات بفاعلية في حفظ هوية المجتمع وتحصينه من تيارات الغلو والتطرف وتوثيق أواصر الوحدة الثقافية والمجتمعية، تقوى على التعامل بوعي مع القضايا المستجدة في واقعنا المعاصر، وإحياء التقاليد الحوارية التي أرسى الإسلام قواعدها في التعرف على الثقافة الإنسانية المشتركة واحترام الخصوصيات الدينية والثقافية للشعوب، وتلبي احتياجات المجتمع الوظيفية والبحثية"(٢).

نظفر في هاته الكلمة بتنصيص واع على "حفظ هوية المجتمع وتحصينه من تيارات الغلو والتطرف وتوثيق أواصر الوحدة الثقافية والمجتمعية"، إضافة إلى إشارة بالغة الأهمية تتعلق برفد المجتمع "بكفاءات شرعية مزودة بالمعارف العقدية الصحيحة وأصول الدعوة"، ونعتقد من جهتنا، أن مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير"(٣) قد صمم ليسهم في تحقيق هاته القصود العالية بكفاءة عالية.

---

(١)"عن الكلية": كلمة د. إبراهيم الأنصاري عميد كلية الشريعة بجامعة قطر، على الرابط الآتي:https://t.ly/VX3C

(٢) "قسم العقيدة والدعوة"، تنظر: كلمة رئيس القسم: د. عبد القادر بخوش على الرابط الآتي:https://rb.gy/zasvro

(٣) شرع قسم العقيدة والدعوة في تدريس هذا المقرر في خريف ٢٠١٨، وهو مقرر متقدم ضمن متطلبات التخصص الإجبارية، يحمل رمز DAWA 407 ، ويقدم طيلة فصل دراسي كامل بمعدل ثلاث ساعات أسبوعيا. لمعرفة تفاصيل أكثر عن متطلبات التخصص الإجبارية، ينظر الرابط الآتي: https://t.ly/6voZX

المبحث الثاني

"الإيمان وظاهرة التكفير": المقاصد والغايات

رأينا في المبحث السابق، كيف أتى مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير" ضمن كشكول من السياقات المتضافرة، والتي تتكامل فيما بينها لتحقيق المقاصد والغايات التي اختيرت بعناية فائقة، وتم التنصيص عليها في وثيقة توصيف المقرر، والتي أشارت إلى أنه يهدف إلى تمكين الطالب من تحقيق الأهداف الآتية:

١. تنمية الوعي بخطورة الغلو والتكفير بوصفهما ظاهرة عالمية وآثارها في المجتمعات الإنسانية.
٢. تمكين الطالب من تطبيق أدوات البحث العلمي في معالجة ظاهرة التكفير.
٣. التعرّف على منهجية الإسلام في التعامل مع المخالفين.
٤. التعرّف على نواقض الإيمان وما يترتب عليها من أحكام.
٥. التعرف على ضوابط التكفير وشرائطه وآثاره.
٦. تنمية مهارات الحوار العلمي ومناقشة الشبهات المطروحة.
٧. تعزيز ثقافة الانتماء للأمة والعمل على وحدتها"[١].

واضح أن تصميم المقرر يستجيب للتحديات الواقعية المتمثلة في فشو ظاهرة التكفير واكتساحها لمساحات واسعة من المجتمع، حتى غدت منهجا في التفكير ووسيلة للحكم على الأشخاص وآلية لحسم الخلافات ودستورا للتقاطب المِلّي والاصطفاف العقدي، وهو الأمر الذي استدعى تقديم تصور متكامل لتطويق هذا الفكر نظريا وتطبيقيا، عبر ترسيم مجموعة من الغايات والمقاصد التي تراعي كل الأبعاد العلمية والمنهجية الضرورية لمحاصرة هاته الظاهرة واجتثاثها من أصولها النظرية والعملية.

---

(١) توصيف مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير"، "قسم العقيدة والدعوة" بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بقطر، خريف ٢٠٢٢: ص ٣.

المبحث الثالث

"الإيمان وظاهرة التكفير": مضامين المقرر ومفرداته

تنص الوثيقة الواصفة لهذا المقرر[١] أنه جاء مستجيبا: " للتحدّي الخطير الذي برز في الآونة الأخيرة والذي يستند إلى مفاهيم دينية مشوّهة في تكفير المسلمين واستباحة دمائهم بأدنى شبهة، فضلا عن الغلو في معاملة الأمم والشعوب الأخرى. ويأتي هذا المقرر ليعالج هذه المشكلة من منظور عقدي وبمنهج علمي أصيل، ومن خلال تناول المقدّمات التمهيدية في معنى الإيمان والكفر، ومعنى الخروج من الملة والخروج من الأمة، وفي أسس العلاقة بين المسلمين وغيرهم أصلا واستثناء...، وتناول نواقض الإيمان، وما ينبني عليها، وحكم المرتد، وشرائط إطلاق هذا الحكم وتطبيقه. كما يتناول التفريق بين المسائل العقدية القطعية والمسائل العقدية الاجتهادية، وما ينبني على هذا التقسيم، ثم يتناول الأسس التي يستند إليها دعاة التكفير: مثل مسألة الحكم، ومسألة الولاء والبراء"[٢].

تأسيسا على هذه الرؤية التكاملية في مقاربة ظاهرة التكفير، اجتهد التوصيف في انتقاء مفردات المقرر بعناية فائقة، خاصة وأن موضوع التكفير من أعقد المواضيع وأكثرها استشكالا في السياقين الكلاميين القديم والمعاصر، ومن شأن الخوض فيه دون وعي أن يؤدي إلى ارتدادات معرفية لاتؤمن عواقبها على الفكر والواقع.

---

(١) توصيف مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير": ص ١.

(٢) لاحظ أن هذا الوصف الدقيق للمقرر، رغم اختصاره ووجازته إلا أنه يتماهى والمنظور الاستراتيجي للكلية والذي ينص على الآتي: "تسعى الكلية إلى أن تؤهل الخريج تأهيلاً يجمع بين أصالة التكوين الشرعي، والمنهجية الوسطية، والسمت الحسن، والاعتزاز البصير بهويته، وتاريخه الإسلامي، والانفتاح على العلوم والمناهج المعاصرة، والتزود بالملكات والمهارات الأساس بما يمكنه من القيام بدور رسالي في مجتمعه وأمته، والتعمق في حقل من حقول الدراسات الإسلامية، ويفتح له فرص العمل في مجالات متعددة بحسب تخصّصه الدقيق" / ينظر: "المنظور الاستراتيجي" لكلية الشريعة بجامعة قطر، على الرابط الآتي: https://t.ly/6DcA

وعند تأملنا لمفردات المقرر، رأينا أنها تتأسس على عدة مقاربات يمكن اختصارها في الآتي:

أولا: المقاربة المفاهيمية(١): عن طريق تقديم حدود أهم الاصطلاحات والمفاهيم المؤسسة للمقرر، والتي يؤدي تصورها السليم إلى فهم أعمق للظاهرة، وسبر أدق لأدواتها التفسيرية، ومن أهم المفاهيم المعتنى بها: الإيمان- التكفير- التطرف – الغلو- التعصب- البغي- دار الإسلام- دار الحرب- الذمي والمعاهد والمستأمن- الولاء والبراء- الإلحاد- علم الكلام- أهم الفرق الكلامية والفروق الكبرى بينها.

ثانيا: المقاربة التاريخية: عن طريق تتبع ظاهرة التكفير منذ بوادرها الأولى مع ذي الخويصرة، مرورا بالخوارج، وانتهاء بالجماعات التكفيرية المعاصرة، ودون إغفال جذور ظاهرة التكفير وتاريخ ظهورها في الأديان الأخرى (السماوية والوضعية).

ثالثا: المقاربة التأصيلية: وذلك عن طريق تقديم أسناد علمية متكاملة للطالب، تساعده على فهم الأصول الشرعية لمقاربة ظاهرة التكفير، ومعرفة كيفيات تطبيق قواعد التكفير على الفرد والمجتمع وشروطها ومقتضياتها، ومن أهم القضايا التي يحرص المقرر على تأسيس الطالب فيها تأسيسا علميا مكينا، ما يلي:

- ❖ الحد الشرعي للكفر.
- ❖ حكم التكفير والتحذير منه.
- ❖ ضوابط التكفير وقواعده.
- ❖ شروط تكفير المعين.
- ❖ تطبيقات وأمثلة: (تكفير الحكام، تكفير العوام، التكفير بالمعاهدات والاتفاقيات الدولية،...).

رابعا: المقاربة النوازلية: عن طريق ربط القضايا النظرية التي يدرسها الطالب بنوازل واقعية وحقيقية، يتبين للطالب من خلالها حجم الدمار المادي والمعنوي الذي يتسبب فيه التكفير دون بينة ورشد للأفراد والجماعات، ومن الأمثلة على ذلك:

- ❖ واقعة التحكيم في الفتنة الكبرى وما انبثق عنها من ميلاد للخوارج
- ❖ فتنة تكفير العوام في القرن الحادي عشر الهجري بالمغرب الأقصى، وما نجم عنها من فُرقة وشتات.
- ❖ واقعة حرق الطيار الأردني معاذ الكساسبة والتعليق عليها.

---

(١) المقاربات الواردة في هذا المبحث، عبارة عن إعادة صياغة وتركيب لمفردات المقرر المفصلة في توصيفه، لمزيد تفصيل ينظر توصيف مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير": ص ٥ وما بعدها.

❖ تنفيذ الحدود الرجم والزنا عند التنظيمات التكفيرية المعاصرة سياقاتها وتكييفها الشرعي والموقف منها.

خامسا: المقاربة المنهجية: وتهدف إلى تسليح الطالب بعدة منهجية تجعله قادرا على سبر غور ظاهرة التكفير، وفهم أسبابها، مع تأهيله ليكون قادرا على الاشتباك المعرفي المنضبط مع الأسناد المرجعية للتكفير ودحضها:

أ- فهم أسباب ظاهرة التكفير:

❖ الأسباب الموضوعية: ضعف الثقافة الدينية، الانفجار المعلوماتي الهائل وما نتج عن شبكات التواصل من فوضوية في نشر القيم والمفاهيم، غياب وتغييب المتخصصين في العلوم الشرعية،...

❖ أسباب متعلقة بفهم النصوص الشرعية: التعامل مع النص خارج سياقه، فهم النص خارج إطاره الشمولي، ضعف الملكة الفقهية لدى الكثير من المتصدرين وقادة التنظيمات التكفيرية.....

❖ الأسباب السياسية: القمع والاستبداد، فساد بعض الأنظمة الحاكمة، المعالجات الأمنية للتكفير ونتائجها العكسية...

❖ الأسباب الاجتماعية: الفقر والحرمان، اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، ضعف مستوى التعليم،...

ب- النقد، عن طريق تمهير الطالب ليصير قادرا على فحص المناهج الفكرية للتنظيمات التكفيرية ودحضها بمناهج علمية محكمة ومقنعة، عبر آليات التحليل والنقد ثم الاحتواء والتجاوز، وتحقيقا لذلك، يتدرب الطلبة على نقض أهم شبهات التكفيريين.

ت- فتح آفاق الطالب للنظر في ممكنات تجديد الدرس العقدي المعاصر وضرورات تطويره، والنموذج التطبيقي لذلك، هو ظاهرة التكفير، وبيان كونها ظاهرة جد معقدة، لا يمكن مقاربتها من زاوية فقهية فقط، بل لا بد من استجماع زوايا النظر المختلفة للظاهرة، وهذا يتطلب مكنة علمية رصينة، وأفقا علميا رحبا، يستدعي من الطالب دوام النظر وتقليب الرؤى في الفكر والواقع، بعين تهتدي ببوصلة الشرع، وتستنير بالعلوم الإنسانية المختلفة، في انسجام وتكامل، لا يَكِرُّ على الثوابت الشرعية بالبطلان، ولا يلغي الحكمة البشرية المتحصلة من مختلف المعارف التي طورتها الإنسانية عبر العصور.

سادسا: المقاربة الواقعية: في هذا المستوى من المقاربات، يكون الطالب على موعد مع التجسيد الحي للمنهج التكفيري، والمتمثل في دراسته لنماذج من الحركات التكفيرية المعاصرة مثل:

❖ تنظيم القاعدة: نشأته وتطوره وأهم اختياراته العقدية وأبرز أعلامه.

❖ الجماعات السلفية المقاتلة (جماعة التكفير والهجرة– الجماعة الليبية المقاتلة– الجماعة السلفية للدعوة والقتال– تنظيم الدولة الإسلامية في الشام والعراق "داعش"): نشأتها وتطورها وأهم اختياراتها العقدية وأبرز أعلامها.

ومما يدخل في هذا الباب، الحرص على إطلاع الطالب على أهم المراجعات الفكرية للجماعات التكفيرية ونتائجها.

المبحث الرابع

"الإيمان وظاهرة التكفير": المقاربات البيداغوجية المعتمدة وآليات التقويم

تبين مما سبق أن المقاصد التي يتغيَّاها هذا المقرر واعدة، والغايات التي يروم تحقيقها كبيرة، كما تبين أن المفردات المؤثِّثة للمقرر جاءت خادمة لمقاصده وغاياته، وكان من الضروري أن تلتحق الخطة التعليمية بهذا الركب، لتعطيه آليات عملية للتنفيذ، وتجعل تنزيله على أرض الواقع ممكنا ويسيرا.

تأسيسا على ذلك: "تمّ بناء الخطة الاستراتيجية الجديدة في مجال التعليم على هذه النظرة الجديدة التي ذكرتُها سابقًا، والمتعلقة بالانتقال بالتعليم من منهج التعليم التقليدي القائم على التلقين إلى منهج التعلّم التفاعلي النشط، الذي وفّرنا له أثرًا فاعلًا في حقيبة المقررات الجديدة، من حيث صياغتها بناء على معايير منسجمة مع النظرة الجديدة، معتمدة على الموجّهات العامّة لتوصيف الموادّ المقرّرة المعتمدة في الهيكلة الجديدة، ووثيقة سياسات وآليات تطوير البرامج والمقررات الأكاديمية، وفلسفة التدريس المعتمدة في الخطة الاستراتيجية للكلية؛ وقد كانت هذه الاستراتيجية في ضوء رؤية وبناء له أسس منهجية وأركان فكرية وقواعد علمية وشواهد تطبيقية، مرتبط بمجال الفاعلية في التعليم، ومستند إلى معطيات الفكر الإداري والتربوي"[١] .

انسجاما مع هذا الأفق العالي، الذي يستشرف تقديم تعليم ريادي ونوعي، فقد عملت كلية الشريعة على مراجعة مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير" ليستجيب للمبادرات الاستراتيجية على مستوى الجامعة المتعلقة بالغاية الثانية من الغايات الاستراتيجية للجامعة[٢] المنصوص عليها في خطتها الاستراتيجية الراهنة (٢٠١٨-٢٠٢٣)، والتي تنص على الآتي: "التميز في التعليم: أن تُعرف الجامعة إقليميًا بتوفيرها للتعليم التحوّلي المتمركز حول المتعلّم، والمعتمد على التطبيق العملي، والمُستند على البحث العلمي، والقائم على منظومة الكفايات، والمُعزّز

---

(١) "تعديل شامل للحقيبة التعليمية وهيكلة جديدة للأقسام"، ينظر: حوار د. إبراهيم الأنصاري عميد كلية الشريعة بجامعة قطر لجريدة الراية القطرية يوم: الأثنين، ١٤ مارس، ٢٠٢٢، على الرابط الآتي:https://rb.gy/zasvro

(٢) أشرفت لجنة المناهج بالكلية على عملية افتحاص دقيقة لمقرر "الإيمان وظاهرة التكفير" وحرصت على جعله منسجما مع توجهات الكلية الرامية لاعتماد "الاتساق البنائي" آلية مؤطرة لكل الأعمال التدريسية وموجهة لها.

بالرقمنة، والداعم للريّادة."[١]، ويتواءم مع المنظور الاستراتيجي في الكلية ومبادراتها الاستراتيجية الخاصة بها، وأخص بالذكر الغاية الثانية التي تدعو إلى: "إيجاد بيئة تعليمية محفّزة ومجسّدة لفلسفة التدريس بالكلية المتمحورة حول الطالب بما يحقّق التميّز في التعليم الشرعي"[٢]، دون أن ننسى سعي الكلية الدؤوب لمواءمة سمات خريجيها ومخرجات البرامج مع إطار مؤهلات جامعة قطر المطلوبة من الكليات.

وعليه، كان لزاما على الكلية إدارة وأساتذة وطلبة أن تنخرط في مسعى لايتوقف لتحقيق الجودة في التعليم: "ونقصد بالجودة: الأسلوب العملي في ميدان التعليم، الذي يحقق بناءً معرفيًا وعلميًا سليمًا من جهة، ويُكسِبُ مهارات متنوّعة لها علاقة بالواقع، ليُسهم المتخرّج من كلية الشريعة في تحريك قاطرة التنمية وتطويرها في الوطن وخدمة المجتمع، حيث يكون جزءًا فاعلًا فيه، ولا يكون الحصول على الشهادة بعد فصول دراسية كثيرة لمجرّد التنظير والبحث الأكاديمي أو المدرسي المنعزل، وذلك يتطلّبُ جهدًا جماعيًا يقرِن بين النظرة المؤسسية من جهة والجهود الفردية لأعضاء هيئة التدريس والطلبة من جهة أخرى"[٣].

---

(١)"الخطة الاستراتيجية"، الموقع الرسمي لجامعة قطر، على الرابط الآتي: https://t.ly/_PK4

(٢)"الخطة الاستراتيجية لكلية الشريعة"، الموقع الرسمي لجامعة قطر.

(٣) "تعديل شامل للحقيبة التعليمية وهيكلة جديدة للأقسام"، ينظر: حوار د. إبراهيم الأنصاري عميد كلية الشريعة بجامعة قطر لجريدة الراية القطرية يوم: الأثنين، ١٤ مارس، ٢٠٢٢، على الرابط الآتي:https://rb.gy/zasvro

الخاتمة

نتساءل في خاتمة هاته الدراسة عن الآفاق التي يرسمها مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير" للطلبة، وهل أفلحت كلية الشريعة في مسعاها الذي يروم: "تمكين الطلاب عملياً من خلال إمدادهم بوعي معرفي عميق وفكر نقدي ناضج وبمهارات حياتية فاعلة، عبر تصميم مقررات دراسية متنوّعة، مثل مناهج البحث والمناظرة، وفقه التحضّر، وفقه السنن، ودراسة ظاهرة التكفير وأسباب الغلو، وغيرها من العلوم التي تمكنهم من التعامل مع كل المستجدات والخلافات الفقهية والإشكالات الكبرى"[١].

من جهتنا، نقر بوضوح أن الكلية قطعت أشواطا بعيدة في تحقيق انتظاراتها من هذا المقرر، خاصة وقد واكبنا تنزيله منذ الفصول الأولى لاعتماده، ورأينا تجاوب الطلبة مع مفرداته واستحسانهم لمنهجية تدريسه،[٢] بل إن بعضهم كما في الشهادة صحبته، طالب بجعله متطلبا عاما وإجباريا لكل طلبة جامعة قطر، وليس لطلبة كلية الشريعة فقط.

إن كلية الشريعة بصنيعها هذا، أسهمت في بناء قوة ناعمة مؤسسة على الفهم الواعي لظاهرة التكفير، إذ الوعي بالظاهرة هو المقدمة الضرورية لتجاوزها تجاوزا يستأصلها من جذورها المؤسسة، ونعتقد أن مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير" بهندسته ومضامينه ومنهجية تدريسه التي رسى عليها بعد مراجعته في الفصل الخريفي ٢٠٢٢ يعتبر نموذجا رائدا، نقترح تعميمه على

---

(١)"ضعف كليات العلم الشرعي وراء «التكفير».. والدعاة الحاليون بلا تأثير"، ينظر: حوار د. إبراهيم الأنصاري عميد كلية الشريعة بجامعة قطر لجريدة العرب القطرية يوم: الإثنين٧ يناير ٢٠١٩، على الرابط الآتي:https://t.ly/p16a6

(٢) تقول إحدى الطالبات في تقويمها للمقرر بعد نهاية الفصل: "لقد تمت الاستفادة من المقرر بكامل موضوعاته، في الحقيقة هو مقرر في غاية الأهمية ليس فقط على طالبات بنات الشريعة، بل أنا اقترح أن يكون من المتطلبات العامة؛ فهو يساعدنا كيف نربي الجيل القادم التربية السليمة عبر غرس العقيدة السليمة والمحافظة على فطرته السليمة، فهذا المقرر يعلمنا كيف نتصرف مع من يشوهون صور الإسلام ومع من يدعون المثالية وكيف لا نقع بفخاخهم. حقيقة هذا المقرر لامس مشاعري واستفدت منه كثيرا، استفدت عدم تكفير أي شخص وعدم التسرع في إطلاق الأحكام وكيفية المحافظة على فطرتي وفطره جيلنا القادم؛ فهذا مقرر توعوي يكشف لنا حقائق وأسرار كثيرة، واتمنى أن يتم توصيل رسالتي لإدارة الجامعة بأن تكون هذه المادة من المتطلبات العامة التي تجب على طالبات جامعة قطر دراستها لأهميتها"/ من طالبات فصل خريف ٢٠٢٢.

مختلف الكليات التي تدرس الشريعة والدراسات الإسلامية في العالمين العربي والغربي على السواء، لأنه يؤهل الطالب ويعطيه المناعة الكافية لمواجهة التكفير فكرا وسلوكا ومنهجا.

ونختم دراستنا هاته بجملة من التوصيات المختصرة في الآتي:

١-الدعوة لتعميم النموذج التدريسي لمقرر "الإيمان وظاهرة التكفير" في مؤسسات التعليم العالي العربية والعالمية؛ واحتذاء هندسته البيداغوجية المعتمدة بكلية الشريعة بقطر، لنجاعتها وكفاءتها وإجرائيتها.

٢- التنبيه إلى أهمية المقاربات الشمولية لمواجهة مظاهر التطرف والتكفير في المجتمع، لأن التطرف ظاهرة معقدة تتداخل في تشكيله عدة عوامل ومؤثرات، فوجب أن تكون المقاربات الهادفة لمواجهته شاملة ومتنوعة.

٣-إن أهم مواجهة للتطرف الديني تتمثل في تكوين جيل متشبع بقيم التسامح والرحمة والتعايش، وتحصينه بالفهم الواعي لأصول الشرع الإسلامي ومحكماته وبيناته العاصمة من الغلو والتشدد.

٤- دعوة مؤسسات التعليم العالي بالدول العربية والإسلامية للانخراط الواعي والمسؤول في مهمة استئصال الجذور المعرفية للتطرف، ومطالبتها باجتراح آليات علمية متطورة تسبر غور الظاهرة وتفكك بنياتها بشكل كلي ومعمق.

٥- لا يمكن فصل البرامج الإصلاحية أو تلك المتعلقة بالمراجعات النقدية للتنظيمات المتطرفة عن سياقاتها الوطنية، فكلما كانت هاته البرامج مندرجة ضمن سياق إصلاحي مجتمعي عام، ومؤطر بخلفية وطنية وسياسية واضحة، ومحتضن بهيئات ومؤسسات علمية وأكاديمية وازنة، كلما كانت الجدوى منها أنفع وأبلغ أثرا في الإصلاح والتغيير، والنموذج الذي قدمناه في هاته الدراسة لمقرر "الإيمان وظاهرة التكفير" شاهد إثبات على صحة هاته الأطروحة ومصداقيتها.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

ثبت المصادر

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- أرضية "المؤتمر العلمي الدولي المشترك الثاني: صوب ثقافة مجتمعية وسطية نابذة للعنف والارهاب ودور الجامعات والمؤسسات المعنية في ترسيخها"
- توصيف مقرر "الإيمان وظاهرة التكفير"، "قسم العقيدة والدعوة" بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بقطر، خريف ٢٠٢٢.
- "تعديل شامل للحقيبة التعليمية وهيكلة جديدة للأقسام"، حوار د. إبراهيم الأنصاري عميد كلية الشريعة بجامعة قطر لجريدة الراية القطرية يوم: الإثنين، ١٤ مارس، ٢٠٢٢، على الرابط الآتي:https://rb.gy/zasvro
- "الخطة الاستراتيجية لجامعة قطر"، الموقع الرسمي لجامعة قطر، على الرابط الآتي: https://t.ly/_PK4
- "الخطة الاستراتيجية لكلية الشريعة"، الموقع الرسمي لجامعة قطر.
- رؤية قطر ٢٠٣٠، على الرابط التالي: https://www.diwan.gov.qa/about-qatar/qatar-national-vision-2030?sc_lang=ar-QA
- "ضعف كليات العلم الشرعي وراء «التكفير».. والدعاة الحاليون بلا تأثير"، حوار د. إبراهيم الأنصاري عميد كلية الشريعة بجامعة قطر لجريدة العرب القطرية يوم: الإثنين ٧ يناير ٢٠١٩، على الرابط الآتي:https://t.ly/p16a6
- "عن الكلية"، كلمة د. إبراهيم الأنصاري عميد كلية الشريعة بجامعة قطر، على الرابط الآتي:https://t.ly/VX3C
- "قسم العقيدة والدعوة"، كلمة رئيس القسم: د. عبد القادر بخوش على الرابط الآتي:https://rb.gy/zasvro